

المحاضرة العشرون

المستوى الاقتصادي الاجتماعي :-

أثبتت الدراسات التي أجريت على العلاقة بين المستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة وبين ذكاء الأطفال , وجود ارتباطات دالة تراوحت بين ٠,٣٥ , ٠,٤٠ للمفحوصين من سن ٣ سنوات حتى ١٨ سنة . وبصفة عامة كانت الارتباطات أعلى بالنسبة للاختبارات اللفظية الأكاديمية , وأقل بالنسبة للاختبارات غير اللفظية . وتؤكد هذه النتائج الدراسات المتعددة التي حاولت إيجاد الفروق بين نسبة ذكاء أطفال الطبقات الاجتماعية المختلفة , فقد سجل الباحثون منذ بداية البحث في النشاط العقلي وحتى الآن وجود فروق بين متوسط نسب الذكاء في الجماعات ذات المستويات الاقتصادية الاجتماعية المختلفة .

الريف والحضر :-

تعتبر البحوث التي حاولت الكشف عن الفروق في نسب الذكاء بين سكان الريف وسكان الحضر , من أهم البحوث المقارنة التي توضح أثر الظروف البيئية في الفروق الفردية . وقد كشفت المقارنات التي أجريت بين الفئات المهنية المختلفة أثناء الحربين العالميتين , أن نسب ذكاء أصحاب الأراضي وعمال الزراعة كانت منخفضة نسبياً بين قائمة المهن الأخرى .

التعليم :-

أن حقيقة وجود فروق فردية في الذكاء مرتبطة بمقدار التعليم الرسمي الذي حصل عليه الأفراد , ثبتت أهمية التعليم المدرسي في تحديد الفروق الفردية , فقد أثبتت دراسات متعددة مثل بحث سميث (١٩٢٤) وبحث هويلر (١٩٤٢) أن مستوى الذكاء في مجتمع الأطفال في سن المدرسة يرتفع في الإقليم , إذا ما حدث تحسن واضح في الفرص التعليمية المتاحة في هذا الإقليم أو الحي .

ويؤكد أثر التعليم أيضا الدراسات التي أوضحت أن كثيرا من الأفراد الذين كانوا يطلق عليهم متخلفون عقليا استطاعوا أن يعملوا كمواطنين أسوياء في مجتمعاتهم بعد تلقينهم النوع المناسب من التعليم .

وهكذا يتضح من استعراضنا لهذه الدراسات حقيقة هامة , وهي أنه على الرغم من أن الوراثة تلعب دورا في تحديد الفروق بين الأفراد وبالتالي في تحديد ذكائهم , فإن الباحثين يتفقون جميعا على تأثير النمو العقلي للطفل بالخصائص والمؤثرات البيئية التي ينشأ فيها الطفل تأثرا كبيرا . فالحرمان الثقافي , وقلة الاستثارة البيئية التي يتعرض لها الطفل , خاصة في طفولته المبكرة , وقلة الفرص التعليمية المتاحة . من العوامل التي تعوق النمو العقلي , كما أن تحسين هذه الظروف يساعد على تنمية ذكاء الأطفال . والفروق الكبيرة في الظروف البيئية وظروف التنشئة والتربية التي يمر بها الأفراد , تعتبر مصدرا أساسيا للفروق بينهم في الذكاء وفي مختلف السمات النفسية .

وإذا كان تحسين ذكاء الأفراد ورفع مستواهم العقلي عن طريق التحكم في العوامل الوراثية أمرا عسير التحقيق , إن لم يكن مستحيلا , فإن ذلك يمكن أن يتم عن طريق توفير الظروف البيئية والثقافية المناسبة لتنمية الذكاء والقدرات العقلية . وإلى هذا الاتجاه ينبغي أن توجه كل الجهود الإمكانات .

ثبات نسبة الذكاء :-

ربما كان من المشكلات التي أثارت ولا زالت تثير الجدل مشكلة ثبات نسبة الذكاء . فهل الدرجة التي يحصل عليها الفرد في مقياس للذكاء في سن معينة يمكن أن تتنبأ بشكل جيد بدرجته في سن متأخرة ؟ بعبارة أخرى , هل يتغير وضع الفرد بالنسبة لأقرانه في الذكاء مع مرور الوقت , أم يظل هذا الوضع ثابتا ؟ أي هل يتغير مستوى ذكاء الفرد بالمقارنة بأقرانه بزيادة العمر ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال ذات أهمية كبيرة , نتيجة لما لها من تضمينات نظرية وتطبيقية . فمن الناحية النظرية , يمكن أن تمدنا ببعض البيانات عن مدى ما تسهم به العوامل البيئية في تنمية

الذكاء , ومن الناحية العملية التطبيقية في تحديد ما إذا كان ممكنا رفع مستوى ذكاء الأفراد , أي مستوى الثروة العقلية في المجتمع , أم أن ذلك أمر مستحيل .

لقد ساد اعتقاد بين علماء النفس لفترة طويلة (وربما بين عامة الناس حتى الآن) خلاصته أنه طالما أن نسبة الذكاء مؤشر مستقل عن العمر , فإنها تظل ثابتة دائما , ما لم يحدث إصابة للجهاز العصبي , ومع الأخذ في الاعتبار أخطاء القياس . وقد كان لهذا الاعتقاد مصدر أساسي , وهي فكرة أشاعها جودارد , ولكن لم تؤيدها البحوث حتى اليوم , وهي أن الفروق في الذكاء تعتمد كلية على الفروق الوراثية .

تبين نتائج الدراسات أن الاختبارات التي طبقت على الأطفال في العام الأول وحتى سنة ونصف من عمرهم , لا قيمة لها في التنبؤ بذكاء الطفل فيما بعد . فقد كانت الارتباطات بين درجات الأطفال في هذه السن ودرجاتهم في اختبارات الذكاء في الأعمار التالية , ارتباطات صفرية , بل كانت تميل لأن تكون سالبة أكثر منها موجبة .

والنتيجة الهامة الثانية أن درجة الارتباط بين اختبارات الذكاء التي طبقت في مستويات عمرية مختلفة تعتمد على السن الذي تم فيه القياس الأول , وعلى طول المدة بين التطبيقين . فمثلا كان الارتباط بين درجات الأطفال في العمرين ٢ و٥ سنوات ارتباطا ضعيفا , لا يزيد على ٠,٣٢ , ولكن في فترة زمنية متأخرة , ما بين سن ٣ و٥ سن فقط . بعبارة أخرى , كانت الارتباطات بين الأعمار المتقاربة مرتفعة حتى في الطفولة المبكرة . وهكذا نجد أنه يمكن أن نلخص بأنه :-

١/ كلما قل الفاصل الزمني بين التطبيقين , كلما كان الارتباط بين درجات الاختبارين أقوى .

٢/ كلما كان الأطفال أكبر سنا , كلما كان الارتباط أكبر أيضا .

وقد حاول بعض الباحثين تفسير عدم الثبات النسبي لدرجات الأطفال الصغار جدا في الذكاء . ولعل من أكثر التفسيرات شيوعا , أن اختبارات الذكاء تقيس مهارات مختلفة في الطفولة المبكرة عنها في الطفولة المتأخرة . فالأسئلة التي تقيس المهارات الحس حركية والتي تشكل قدرا كبيرا من اختبارات ذكاء الأطفال الصغار تختلف اختلافا تاما عن الأسئلة اللفظية التي تستخدم في قياس ذكاء الأطفال في المراحل العمرية التالية .

ومن هنا يلخص العديد من الباحثين إلى أن ذكاء الأفراد يتصف بالثبات النسبي طيلة حياتهم , وأن البرامج المكثفة والتي تستمر فترات قصيرة من الوقت لا تعطي تأثيرا طويلا المدى فيما يتعلق بزيادة درجات الأطفال في الذكاء . ومع ذلك فإن نسبة الذكاء يمكن أن تتغير نتيجة للتأثيرات التراكمية للتعليم المدرسي خاصة بالنسبة للأطفال الذين ينتمون إلى بيئات محرومة ثقافيا , أو نتيجة لتغيرات كبيرة في ظروف حياتهم وتنشئتهم الأسرية .

خلاصة الفصل :-

يعتبر تحديد العوامل الأساسية التي تؤثر في الفروق الفردية , من المشكلات التي أثارته مناقشات نظرية وفلسفية طويلة , وقد تركز الجدل فترة طويلة على الدور الذي تلعبه كل من الوراثة والبيئة في تحديد الفروق بين الأفراد .

وقد حددت الوراثة بأنها انتقال الصفات من الآباء والأجداد إلى الأبناء عن طريق المورثات أثناء تكوين البويضة المخصبة . أما البيئة فقد حددت بأنها مجموع المثيرات التي يتعرض لها الفرد طوال حياته .

وقد استخدمت مناهج متعددة في دراسة أثر كل من الوراثة والبيئة دراسة موضوعية . ومن أهم هذه الطرق المقارنة بين التوائم المتماثلة وغير المتماثلة , وقد كانت معظم النتائج تؤكد الدور الأكبر للعوامل الوراثية في تحديد الفروق بين الأفراد .

على أن هذه النتيجة يجب أن ننظر إليها بحذر شديد , فتربية التوائم بعيدا عن بعضهما لا يعني بالضرورة أنهما يعيشان في بيئتين مختلفتين اختلافا كبيرا .

وقد أجريت دراسات أخرى على الأطفال في بيوت التبني والمؤسسات , وقد أثبتت هذه الدراسات أن البيئة الجيدة تساعد على النمو العقلي للأطفال .
كذلك تناولت بعض الأبحاث بالدراسة العلاقة بين ذكاء الأطفال وبين بعض الظروف البيئية المحددة مثل مهنة الوالدين , مستوى تعليم الآباء , والمستوى الاقتصادي _ الاجتماعي للأسرة كما أجريت مقارنات بين سكان الريف والحضر لكشف عن الفروق في الذكاء , كما درست العلاقة بين مستوى التعليم الذي حصل عليه الأفراد ومستوى ذكائهم , وكانت النتائج كلها مؤيدة للأثر الهام الذي تلعبه العوامل البيئية في تحديد الفروق بين الأفراد .
وهكذا اتضح لنا أنه على الرغم من أن الوراثة تلعب دوراً في تحديد الفروق بين الأفراد , وبالتالي في تحديد ذكائهم , فإن الباحثين يتفقون على تأثير النمو العقلي ونسبة الذكاء تأثيراً كبيراً بالخصائص والظروف البيئية التي ينشأ فيها الطفل .
أما فيما يتعلق بثبات نسبة الذكاء , فقد أثبتت البحوث أنها تتميز بالثبات النسبي , على الرغم من أن برامج الإثراء يمكن أن يكون لها تأثير في زيادة نسبة ذكاء الأطفال , كما أن الآثار التراكمية للتعليم المدرسي , يمكن أن يكون لها تأثير في رفع نسبة الذكاء , خاصة بالنسبة للأطفال الذين يأتون من بيئات محرومة ثقافياً .